

التَّروِيحُ عَنِ النَّفْسِ

النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ تَمَلُّ مِنَ الْجِدِّ وَالْعَمَلِ، وَيَدْخُلُهَا السَّأَمُ مِنْ كَثَرَةِ الْعَمَلِ؛ لِهَذَا تُجِيزُ تَعَالِيمُ الْإِسْلَامِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْوِّحَ عَنْ نَفْسِهِ، مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرٍ، بِاللَّهْوِ الْمُبَاحِ، وَيُمَارِسَ مِنَ الْأَنْشِطَةِ التَّرْوِيحِيَّةِ الْمُبَاحَةِ، مَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِالْفَوَائِدِ الْجِسْمِيَّةِ، وَالرُّوحِيَّةِ، وَالْعَقْلِيَّةِ، وَيَجِدُّدُ نَشَاطَهُ فِي الْحَيَاةِ، وَيَدْفَعُهُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْعَمَلِ وَالْعِبَادَةِ.

وَلَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ؛ فَقَدْ كَانَ يَضْحَكُ وَيَمْرَحُ بِالْقَوْلِ الصَّادِقِ، فَقَدْ قَالَ لَهُ الصَّحَابَةُ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: إِنَّكَ لَتُدَاعِبُنَا. فَقَالَ لَهُمْ -ﷺ-: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا».

وَقَدْ رُوي عَنْهُ -ﷺ- أَنَّ امْرَأَةً عَجُوزًا أَنْصَارِيَّةً، جَاءَتْهُ تَقُولُ: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ». فَقَالَ لَهَا: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ»، فَأَخَذَتْ الْمَرْأَةُ تَبْكِي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهَا تَبَسَّمَ، وَقَالَ لَهَا: «أَمَّا قَرَأْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا﴾. وَجَاءَ رَجُلٌ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَتَّصِدَّقَ عَلَيْهِ بِبَعِيرٍ يَرْكَبُهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ -ﷺ-: «إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ» فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ -ﷺ-: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النَّوْقَ؟».

وَكَانَ الصَّحَابَةُ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- مَعَ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، يَتِمَارَحُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيُرَوِّحُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، بِمُمَارَسَةِ بَعْضِ الْأَنْشِطَةِ الْمُبَاحَةِ، وَلَمْ يُنْقِصْ ذَلِكَ مِنْ أَقْدَارِهِمْ. يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: (إِنَّ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ).

وَأَجَازَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْأَنْشِطَةِ التَّرْوِيحِيَّةِ، مَا يَتَّفِقُ مَعَ قِيَمِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ، وَلَمْ يَجْعَلِ الْهَدَفَ مِنْ مُمَارَسَةِ النَّشَاطِ التَّرْوِيحِيِّ، شَغْلَ أَوْقَاتِ الْفَرَاغِ، بَلْ جَعَلَ الْهَدَفَ اسْتِثْمَارَ أَوْقَاتِ الْفَرَاغِ، لِيَجِدُّدَ النَّشَاطَ، وَلِيُعِينَ عَلَى الْحَيَاةِ.

لَيْسَ مَعْنَى إِبَاحَةِ التَّرْوِيحِ، أَنْ تُصْبِحَ الْحَيَاةُ كُلُّهَا هَزْلاً، وَأَنْ تَتَغَلَّبَ رُوحُ الْمَرَحِ عَلَى رُوحِ الْجِدِّ، وَتَضِيعَ تَبَعاً لِذَلِكَ عَنَاصِرُ الْقُوَّةِ، وَيَتَخَلَّفَ الْمُسْلِمُونَ عَنِ الْقِيَامِ بِوَاجِبِهِمْ، وَيُقْضَى عَلَى عَوَامِلِ الْمَحَبَّةِ وَالْأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ، وَيُصْبِحَ الْمُجْتَمَعُ لَا هَيَأً عَابِتاً، فَالْحَيَاةُ أَعْلَى مِنْ أَنْ تَضِيعَ فِي لَهْوٍ عَابِثٍ، وَتُهْدَرَ فِي بَاطِلٍ لَا خَيْرَ مِنْ وَرَائِهِ، لِذَلِكَ يَجِبُ أَلَّا يَأْخُذَ التَّرْوِيحُ، إِلَّا قَلِيلاً مِنَ الْوَقْتِ وَالْجُهْدِ.

إِنَّ الْإِسْلَامَ عِنْدَمَا أَبَاحَ التَّرْوِيحَ بِالْمَزَاحِ وَالْمُدَاعِبَةِ، لَمْ يَقْصِدْ بَعْضَ الْأَسَالِيبِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا الْمُعَاصِرَةِ الَّتِي تُؤَدِّي أحياناً إِلَى إِيْذَاءِ الْآخَرِينَ، عَنْ طَرِيقِ السُّخْرِيَّةِ مِنْهُمْ. فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَهَانَا عَنْ السُّخْرِيَّةِ مِنَ الْآخَرِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، كَمَا حَذَّرَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مِنَ الْكُذْبِ فِي الْمَزَاحِ وَالْمُدَاعِبَةِ، وَعِنْدَ إِضْحَاكِ الْآخَرِينَ، فَقَالَ -ﷺ-: (وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ؛ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمُ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ).

قراءة موسعة

مَسْرَحِيَّةُ الْقَوِيِّ الْأَمِينِ (الْمَشْهَدُ الْأَوَّلُ)

حُجْرَةُ أَبِي بَكْرٍ بِهَا سَرِيرٌ، لَا يَرْتَفِعُ عَنِ الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَهَا كُوَّةٌ تُطُلُّ عَلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ. يُرْفَعُ السِّتَارُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَاقِدًا عَلَى فِرَاشِهِ، وَعِنْدَهُ زَوْجَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ. يَدْخُلُ الصَّبِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَصِيحُ

الصَّبِيُّ : يَا أُمِّي، أَيْنَ لُعْبَتِي يَا أُمِّي؟

أَسْمَاءُ : (بِصَوْتِ خَافِتٍ) .. أُسْكُتْ يَا غُلَامُ. لَا تُزْعِجْ أَبَاكَ.

الصَّبِيُّ : أَيْنَ وَضَعْتَ لُعْبَتِي؟

أَسْمَاءُ : خَبَأْتُهَا.

الصَّبِيُّ : أَلَا أَنْ أَبِي مَرِيضٌ تَمْنَعِينَنِي مِنَ اللَّعِبِ؟

أَسْمَاءُ : نَعَمْ.

الصَّبِيُّ : لَنْ أَلْعَبَ فِي الْبَيْتِ .. سَأَلْعَبُ فِي الْخَارِجِ.

أَسْمَاءُ : اسْكُتْ .. لَا فِي الْبَيْتِ، وَلَا فِي الْخَارِجِ.

أَبُو بَكْرٍ : (يَتَحَرَّكُ فِي سَرِيرِهِ وَيَفْتَحُ عَيْنَيْهِ) هَلْ حَضَرَ عُمَرُ؟

أَسْمَاءُ : لَا يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَمْ يَحْضُرْ.

أَبُو بَكْرٍ : مُحَمَّدٌ، تَعَالَ. اذْنُ مِنِّي يَا بُنَيَّ. (يَدْنُو الصَّبِيُّ مِنْهُ فَيَقْبَلُهُ) مَالِي أَرَاكَ تَبْكِي؟

الصَّبِيُّ : أُمِّي يَا أَبِي، أَخَذْتُ لُعْبَتِي.

أَبُو بَكْرٍ : أَتُرِيدُ أَنْ تَلْعَبَ الْآنَ؟

الصَّبِيُّ : نَعَمْ يَا أَبِي .. فِي الْخَارِجِ.

أَبُو بَكْرٍ : أَعْطِيهِ يَا أَسْمَاءُ لُعْبَتَهُ.

أَسْمَاءُ : سَمِعَا وَطَاعَا يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ (تَخْرُجُ مَعَ الصَّبِيِّ ثُمَّ تَعُودُ).

أَسْمَاءُ : كَيْفَ تَجِدُكَ السَّاعَةَ؟

أَبُو بَكْرٍ : الْحَمْدُ لِلَّهِ!

صَوْتُ : يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ! يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ!

أَسْمَاءُ : هَذَا صَوْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

أَبُو بَكْرٍ : أَجْلِسْنِي: (أَسْمَاءُ تُعِينُهُ عَلَى الْجُلُوسِ، وَتَضَعُ الْوِسَادَةَ خَلْفَ ظَهْرِهِ) قُولِي لَهُ يَدْخُلُ، وَلَا

يَدْخُلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا، حَتَّى يَنْصَرِفَ عُمَرُ.

(تَخْرُجُ أَسْمَاءُ ثُمَّ يَدْخُلُ عُمَرُ)

- عُمَرُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ .
- أَبُو بَكْرٍ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ . أَتَيْنَ كُنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَقَدْ افْتَقَدْتُكَ مُنْذُ أَمْسٍ؟
- عُمَرُ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ . جَاءَتْنِي تِجَارَةٌ مِنَ الْيَمَنِ؛ فَشَغَلْتَنِي عَنْكَ .
- أَبُو بَكْرٍ : فَهَلِ انْتَهَيْتَ مِنْهَا الْيَوْمَ؟
- عُمَرُ : نَعَمْ بَعْتُهَا وَرَبِحْتُ . كَيْفَ أَنْتَ الْيَوْمَ يَا أبا بَكْرٍ؟
- أَبُو بَكْرٍ : (يُظْهِرُ الصَّبْرَ كَأَنَّمَا عَوْفَى مِنْ مَرَضِهِ) الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَجِدُنِي بَارِتًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ .
- عُمَرُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ .. قَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهَا وَعَكَّةٌ خَفِيفَةٌ وَتَزُولُ .
- أَبُو بَكْرٍ : فَلَا تُطِلِ الْغَيْبَةَ عَنِّي أبا حَفْصٍ .
- عُمَرُ : لَنْ أَغِيبَ عَنْكَ مَا كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَيْي .
- أَبُو بَكْرٍ : أَنَا فِي حَاجَةٍ إِلَيْكَ فِي كُلِّ حِينٍ . لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي أَمْرِي هَذَا الصَّبَاحَ، وَقَدْ قُمْتُ بِأَعْمَالٍ لَا أَذْرِي مَا مَكَانُهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تُذَكِّرَنِي فِيهَا يَا عُمَرُ؟
- عُمَرُ : حُبًّا وَكَرَامَةً يَا أبا بَكْرٍ .
- أَبُو بَكْرٍ : الْفَيْئُ الَّذِي كُنْتُ أَقْسِمُهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى السَّوَاءِ، لَا أُمَيِّرُ فِيهِ أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، فَمَا رَأَيْكَ الْيَوْمَ فِي ذَلِكَ؟
- عُمَرُ : رَأَيْي الْيَوْمَ كَرَأْيِي أَمْسٍ .. لَا يَسْتَوِي السَّابِقُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُتَخَلِّفُونَ . وَاللَّهِ لَا أَجْعَلُ مَنْ قَاتَلَ رَسُولَ اللَّهِ كَمَنْ قَاتَلَ مَعَهُ .
- أَبُو بَكْرٍ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّ السَّابِقِينَ، إِنَّمَا أَسْلَمُوا لِلَّهِ وَلَهُمْ أَجْرُهُمْ، يُوقِيهِمْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَلَاعٌ .
- عُمَرُ : يَا أبا بَكْرٍ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي رَأْيِي، فَهَذَا رَأْيِي .
- أَبُو بَكْرٍ : صَدَقْتَ، فَمَاذَا تَرَى فِي خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ؟
- عُمَرُ : إِنَّكَ لَتَعْرِفُ رَأْيِي فِيهِ .
- أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي أَنْزَلْتُكَ مَنْزِلَةَ نَفْسِي يَا أبا حَفْصٍ، فَإِذَا رَاجَعْتُكَ، فَكَأَنَّمَا رَاجَعْتُ نَفْسِي، وَحَقٌّ عَلَى مَنْ يَلِي أُمُورَ النَّاسِ، أَنْ يُرَاجِعَ نَفْسَهُ دَائِمًا وَيُحَاسِبَهَا .
- عُمَرُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ الْوَلِيدِ لَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، كَمَا نَعَتَهُ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنَّهُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَمثالُهُ .
- أَبُو بَكْرٍ : طِبَّ نَفْسًا يَا أبا حَفْصٍ، فَبِحَسْبِي هَذَا مِنْكَ .
- عُمَرُ : مَاذَا تَعْنِي؟
- أَبُو بَكْرٍ : لَقَدْ قَصَدْتُ امْتِحَانَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَجَدْتُكَ كَمَا عَهَدْتُكَ صَرِيحًا، لَا تُدَاهِنُ .
- عُمَرُ : وَمَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ يَا أبا بَكْرٍ؟
- أَبُو بَكْرٍ : أَرَدْتُ بِذَلِكَ اسْتِخْلَافَكَ يَا عُمَرُ .

- عُمَرُ : لا تَفْعَلْ يا أبا بَكْرٍ.. لا حَاجَةَ لِي فِيهَا.
- أَبُو بَكْرٍ : لَكِنَّ لَهَا بِكَ حَاجَةً يَا عُمَرُ.
- عُمَرُ : فَاسْتَخْلَفَ أَحَدًا غَيْرِي يَا أبا بَكْرٍ.
- أَبُو بَكْرٍ : مَنْ أَسْتَخْلَفَ؟
- عُمَرُ : اسْتَخْلَفَ أَبَا عُبَيْدَةَ؛ فَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.
- أَبُو بَكْرٍ : قَدْ فَكَّرْتُ فِيهِ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهِ الْقُوَّةَ الَّتِي عِنْدَكَ. إِنَّهُ أَمِينٌ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ الْقَوِيَّ الْأَمِينَ.
- عُمَرُ : اللَّهُ مُتِمُّ نَوْرِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.
- أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا يُتِمُّ اللَّهُ نَوْرَهُ يَا عُمَرُ بِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ الْمُجَاهِدِينَ الْمُخْلِصِينَ.
- عُمَرُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، كَيْفَ تَسْتَخْلِفُنِي، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَخَالِفُكَ فِي تَقْسِيمِ الْفَيْئِ، وَفِي خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَفِي غَزْوِ أَهْلِ الرِّدَّةِ، بَعْدَ أَنْ ثَابُوا إِلَى إِسْلَامِهِمْ، وَفِي أُمُورٍ غَيْرِهَا كَثِيرَةٍ؟
- أَبُو بَكْرٍ : وَيَحْكُ يَا عُمَرُ، إِنَّ هَذَا لَيُدْفَعُنِي إِلَى اسْتَخْلَافِكَ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَّيْنِي عَنْهُ.. إِنِّي أُرِيدُ رَجُلًا، إِذَا قَالَ نَعَمْ، قَالَهَا بِمِلَّةٍ فِيهِ، وَإِذَا قَالَ لَا، قَالَهَا بِمِلَّةٍ فِيهِ؛ وَأَنْتَ هُوَ يَا عُمَرُ.
- عُمَرُ : زُوَيْدَكَ يَا أبا بَكْرٍ، إِنِّي أَخْشَى عَلَى نَفْسِي، وَعَلَى دِينِي وَآخِرَتِي.
- أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيَهْلِكُ فِيهِ اثْنَانِ يَا عُمَرُ: رَجُلٌ يَطْمَعُ فِي الْخِلَافَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ غَيْرَهُ أَحَقُّ بِهَا، وَأَقْدَرُ عَلَيْهَا مِنْهُ، وَرَجُلٌ يَأْبَاهَا، إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ أَصْلَحُ النَّاسِ لَهَا وَأَقْدَرُهُمْ عَلَيْهَا، تَهْرَبًا مِنْ حَمْلِ السَّبْعَةِ، وَضَنًا بِكِفَايَتِهِ أَنْ يَبْذُلَهَا فِي خِدْمَةِ النَّاسِ.
- عُمَرُ : يَا أبا بَكْرٍ، أَرْجُوكَ أَنْ تَرْحَمَنِي مِنَ الْحِسَابِ الْعَسِيرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- أَبُو بَكْرٍ : وَيَحْكُ يَا عُمَرُ، إِنَّ الْإِمَامَ الْعَادِلَ لَمِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.
- عُمَرُ : (يَبْكِي) وَمَنْ لِي يَا أبا بَكْرٍ بِذَلِكَ؟ مَنْ لِي بِذَلِكَ؟ مَنْ لِي بِذَلِكَ؟
- أَبُو بَكْرٍ : اللَّهُ لَكَ بِذَلِكَ يَا عُمَرُ، اللَّهُ لَكَ بِذَلِكَ... اللَّهُ لَكَ بِذَلِكَ!.
- عُمَرُ : يَا أبا بَكْرٍ، إِنَّكَ غَدًا لَنْ تُغْنِيَ عَنِّي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا.
- أَبُو بَكْرٍ : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ يَا عُمَرُ، هَلْ تَعْلَمُ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ هُوَ أَصْلَحُ لَهَا مِنْكَ؟
- عُمَرُ : فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي يَا أبا بَكْرٍ.
- أَبُو بَكْرٍ : وَلَكِنْ أَنْتَ أَوْلَى بِهَا عِنْدِي يَا أبا حَفْصٍ.
- عُمَرُ : أَلَا تَسْتَشِيرُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ أَوَّلًا يَا أبا بَكْرٍ؟
- أَبُو بَكْرٍ : سَأَفْعَلُ يَا أبا حَفْصٍ. لَقَدْ كَفَيْتُ الْعَقَبَةَ الْكُبْرَى، فَكُلُّ شَيْءٍ بَعْدَهَا هَيِّنٌ سَهْلٌ يَأْذِنُ اللَّهُ.

(بتصرف من مسرحية القوي الأمين لعلي أحمد باكثير)